آباء يشترون الرعب لاطفالهم بالعملة الصعبة!

(البلي ستيشن) صندوق مخـــاطر مسليـــــة

عبد الكريم العبيدي
تصوير: سمير هادي

حقا ، لا تكفي "زلزلة الحياة" من الخارج.. كل الذي نراه ونسمعه ونشمه من خراب ودمار ورعب اساسه العنف بكل طبقاته واجناسه ، واساسه "البركان الطارئ" بكل صفحاته ، واساسه نحن وتراثنا الدموي واشياء اخرى عديدة ، ومع هذا نشتري الموت لنزداد موتاً..

حقا لا يكفي كل هذا الذي يسري في دمائنا ويسبح في دخان سجائرنا ، ونعده كل يوم على اصابعنا ، وحين نفتح نوافذنا نراه هناك في عالم كله فينا وبيننا ، عبر فضائيات استأجرتنا لا مد غير معلن لتظهرنا للجميع باعتبارنا عاصمة العنف!

ولكن حقا لا يكفي كل ذلك، فميولنا، وميول اطفالنا باتت مثابات منغلقة، وما زالت مولعة بذلك العنف المسكر في اقراص ليزرية لاهثة وانيقة، نجلبها للصغار بالدولارات كي يستمتعوا بها كثيرا في غرف صاخبة بسبب انتمائها، الى صفحات الخارج الدموية، فهي باختصار: صفحة داخلية حمراء من دفتر الواقع/الدم!!

انت خائف.. إذاً أنت موجود!

نحن واطفالنا بحاجة الى رعب.. لم لا؟ رصاصنا الوحيد الذي نواجه به رصاص العدو(!) كل ما في الخارج عدائي ويثير مخاوفنا ومخاوف صغارنا.. نحن نخشى كل ما حولنا ويجب ان نحارب هذه الخشية بالخشية(!) يجب ان نواجه العنف والعدوانية باسلحتها.. ونحن مجبرون ومدفوعون لهذه الحرب الشعورية وخنادقها الحسية.. نحن هنا في بركة تسع كل غضبنا وخوفنا ورعبنا في آن واحد. ولكن.. اين عنصر الفضيلة والخير؟ اين عشق الحياة والحب والسلام والألفة؟.. اين كل ذلك في اقراص ليزريتنا الحمراء؟ أين واين؟. ووو أين؟!

لنقف اولا لأمتنع انا عن كل هذا الكلام غير المباح قبل ان يدرك رقيبي النواح!! وباختصار اخشى ان يقول الاطفال لي: اطفال البلي ستيشن اوه.. انت اشكد قديم!!

السؤال الاول

تبدأ قصة هذا الصغير.. كما تبدأ قصة صغير غيره، هكذا بسؤال أريد ان تشتري لي جهاز بلي ستيشن..٢ الاب: انه غالي الثمن لاحظوا يفكر الاب بسعر الجهاز فقط(!).. فهو غير معني بما يجلبه من مخاطر.. أي مخاطر؟.. انه جزء من اللعبة الليزرية انه بحاجة الى مخاطر ايضا.. بحاجة الى عنف مثل ولده.. وبحاجة ايضا الى تسلية دموية.

السؤال الثاني

الفصل الثاني من قصة هذا الصغير يشبه الفصول الثواني من قصص صغارنا جميعا.

اعطني مصروفي اليومي.. الاب: وماذا ستشتري به؟.. لا اشتري شيئا.. اريد ان اذهب الى قاعة العاب البلي ستيشن يقول هذا طبعا في بعض الاحيان، ففي احيان كثيرة يكذب الصغار ويخفون نواياهم خشية مما نعة الآباء لاسباب مختلفة، هذا ان حدثت مثل هذه الممانعة التي اغلبها تتعلق بالعراك والخصومات بين الاطفال داخل القاعة وبعيدا عن مخاطر الصندوق الجميل.

خبر قديم جدا

اجواء صاخبة يقضي بها اطفال العراق وقتهم مع اجهزة البلي ستيشن وتسمى في مناطق اخرى: بالعاب الفيديو.. لممارسة مصارعة الرعب المنوعة والحرة، داخل محال صغيرة انتشرت في بغداد والمحافظات، وبات بها زبائن صغار ويافعين.

المحال الصاخبة هذه، ربما لا يعرف الكثير عما يدور فيها هذه الايام. وقد يصاب العديد بالدهشة حين يتعرف على سيل المفردات والحوارات التي تدور هناك في داخل هذه الغرف المرعبة.. وربما هذا هو ما يجعل الخبر غير قديم.. بل يجعله يتصدر الاخبار العاجلة عن جدارة واستحقاق.

الأمراء الصغار

يدخل الصغار الى هذه القاعات صغارا.. وبعد دقائق يتحولون الى امراء، ليس بالوراثة طبعا.. ولا عن طريق انتخابات برلمانية يصاحبها "دائما" التلاعب والتزوير والغش! ابداً، فممارسة العاب البلي ستيشن حداثوية من الطراز الاول ولا تحتاج الى كل هذا العناء او الحظ.. وكل ما يحتاجه الصغير البريء والصفحة الناصعة البياض.. اكبادنا التي تمشي على الارض هو ان يقتل، اكرر يقتل عشرة مواطنين في الشارع بقاذفاته التي لا ينفد الرصاص منها طوال "كيم كامل"!! وعندما يصرخ الاطفال الذين كانوا يتابعون بطولاته ومغامراته في النهب والقتل والتدمير هيه هيـــــــه.. صار أمير.. قتل عشرة، بطل بطل هيـــــه!!.

❖ملحوظة: يتكرر هذا المشهد كل خمس دقائق تقريبا!

اجمل مئة مفردة دموية جميلة!

هيـــه.. أقتله أقتله.. فجره، فجره أحرق سيارته، صعقت أول الامر طبعا.. ولكن هذه المفاجآت المرعبة صارت قديمة. فالمفردات التالية كانت اشد وقعا، وانستني دهشتي اليتيمة. وهاكم بعضها: فجر البناية، سلب زوجته، انهبه، اقتل زوجها، اتزود بالدم راح اتموت اتزود بالدم حوسم، حوسم، حوسم هاي السيارة(!!) فلش اعمدة الكهرباء كلهه- فلش السيارات، دمر السياج، خرب الحديقة، ادعم الاشجار- شغل الـ آر بي جي شغل البي كي سي- اضربه ابصاروخ، دير بالك سمتية- فجر الهمر هيـــــه هو!

ومن اجمل الدمويات ايضا ارهابي لا هذا مقاومة - احرقه- فجر بيتهم عليهم عيع شوف اشكد دم صار، فيـــض.....ان(!) اسحل المرية بالشارع- هيه انقطع راسهه، ارم عليهم رمانة يدوية ابسرعة- شغل مدفع انهب هاي السيارة الشبح- اقتل السايق- فلش الرصيف دمره- راح اتموت ازود بالدم اهوايه- اطعن بالحربة- لا بالسيف- هيه، صار امير امراء، امير امراء، قتل فوق العشرين هيه امير وراء امراء هـــــه!.

معركة المطار

لا حاجة للمزيد من هذه الدمويات.. بدا الامر واضحا.. والان سنعيش مع مشهد آخر.. لاحظوا ذلك، ووقتا ممتعا.

تصوروا ان العديد من افلام البلي ستيشن تمثل الحروب التي عاشها العراق مؤخرا (!) او تمثل مشاهد.. واقعية من الاشتباكات المسلحة التي وقعت في مناطق التوتر العديدة مثل الفلوجة مدينة الثورة، الصدر حاليا، الرمادي، الكوفة، شارع حيفا، و... المطار والمؤلم حقا من سيل الالام، ان اللاعب في جهاز "البلي" يحرك الجندي الامريكي ويجعله يقتل ويدمر وينهب- يقتل المواطنين ويدمر بيوتهم وينهب سياراتهم(!!) هذه هي مشاهد اللعب الفردي، أي طفل واحد يلعب في جهاز اما اللعبة الثنائية بين طفلين مع الجهاز فيحصل ان الطفل العراقي، الاول يصبح جندياً امريكياً والاخر يمثل "المسلحين بجميع مسمياتهم واصنافهم، وعندما تتحول اللعبة بين عراقيين يقتل بعضهم بعضا داخل صندوق الدم الحار وامام اعين عشرات الاطفال الابرياء.

عافيات عائلة الامراء!

اصغر هؤلاء الصبية كان عمره خمس سنين.. وبعضهم يتراوح عمره بين ٧ الى ١٥ عاما.. وهناك اليافع والفتى والشاب.. وهناك كبار تتراوح اعمارهم بين ٢٥-٦٠(!).. وقد نجحت العاب البلي ستيشن بجمعهم في تلك الظروف الصاخبة بلا رقابة ولا يحزنون.. بعضهم علق على هذه التجمعات، (الصحية) قاعة العرض واحدا.

ويبقى المدهش حقا هو ان العديد من الاباء يتقاتلون مع ابنائهم في البيوت مع العاب هذا الجهاز المسلي في قتال الشوارع ومعركة المطار وشارع حيفا والفلوجة.

وحين يصرخ الابن: اقتله، اذبحه.. يجيبه الاب: انهب السيارة- فجر البناية- انهب زوجته.. وعندما تعلق الام على سير المعركة بين زوجها وولدها: ما شاء الله صار زوجي اميرا وابني اميرا بالعافية عليه!!!

حوارات وصور بريئة جداً أحمد- خمس سنين- جاء "السابق" لا تنسَ الحروب والدمار والصواريخ واصوات الانفجارات على مدى اكثر من عقد.. لا تنس الوان الخاكي والزيتوني التي كانت تملأ الشوارع.. اطفالنا لم يأتوا من "النمسا" بل من ظهورنا وكلهم عاشوا هذه الفواجع او سمعوا بها من ابائهم.

وتبقى اطرف اجابة سمعتها من احدهم هي الخاتمة.. قال" هيه الف الفين باليوم، روح اثلاثة يصرفونها على العاب الـ"البلي" فد نمونة.. المهم سالمين.. همه يحبون الرعب والاشتباكات شنسويلهم.

ملحوظة: ويعمل حاليا سائق تاكسي بسيارة انيقة ومنفيست!

فلم نائم.. فلم مستيقظ!

هكذا بدت افلام البلي ستيشن في محال بيع الاقراص الليزرية المنتشرة في بغداد وضواحيها.. هكذا بدت فعلا في احاديث اصحاب هذه المحال.. والحق كان الاقبال لافتاً للنظر على شراء العديد من هذه الاقراص المستيقظة.. ومن داخل احد هذه المحال توضحت صورة البيع والاقبال "والمراوس".

يقول امجد، صاحب محل متخصص في بيع افلام "بلي ستيشن تو" في ساحة الباب الشرقي:: الاطفال يشاهدون الارتال العسكرية واحتراق السيارات ويطالعون مواقع انفجار السيارات المفخخة والعبوات الناسفة في اماكن متفرقة من بغداد. كما يشاهدونها على شاشات الفضائيات يوميا ولذلك يحبون ان يقلدوا هذه المشاهد عن طريق الـ"بلي ستيشن.. واضاف الطفل بطبيعته مشاكس ويحب العنف والاكشن.

سألت امجد: وهل تعرف ان هذه الاقراص تحمل مخاطر عديدة للطفل؟ فأجاب: كلنا نعرف ولكننا جميعا تقريبا نمارس هذه الالعاب ونشتري لاخواننا الصغار كل هذه الاقراص التي تتحدث عنها.

امجد بين لي ان القضية لا تتعلق به او بغيره.. انها محن ومخاطر تحيط بنا جميعا. ثم علق على الظروف التي يمر بها العراق قائلا: صار النه اسنين نطلع من بلوة ونطب ابلوة".

أخيرا طلبت من امجد الذي بدأ الضيق يزداد في ملامح وجهه ان يخبرني فقط عن موقف الافلام الاخرى غير افلام العنف فأجاب: "انظر الى الغبار المتراكم على هذا القرص.. انظر الى ذلك القرص، وذاك وذلك، كلها نايمة على كلبي من شهور طويلة. الطفل العراقي يبحث عن قرص فيه حرب وقتل ومسدسات.

واضاف: الكثير من الاطفال يجلبون اقراصا غير حربية اشتراها لهم آباؤهم و-يراوسونها- بأفلام الرعب!

قراءة ونصائح ولكن!

الاستاذة الدكتورة بثينة منصور الحلو، من قسم علم النفس في كلية الاداب في جامعة بغداد بينت ان جذور هذا التوجه السلبي تعود الى تفاعل الطفل مع بيئته وما تحويه من مظاهر العنف والقتل والعدوانية. واضافت ان تلميذ الابتدائية في العراق بات لا يخشى الموت، لانه يتفاعل معه يوميا في الاحياء والشوارع وعلى شاشات الفضائيات. الدكتورة الحلو ترى ان التحذيرات اليومية التي يسمعها الطفل يوميا من ابيه وامه عن عدم الاقتراب من الارتال العسكرية ومن التجمعات ومواقع الانفجارات والغرباء جميعهم لانهم اما ان يكونوا لصوصا او ارهابيين. تجعل الطفل يشعر انه يعيش في وسط عدواني وعنيف ويحيط به الرعب من كل جانب وعليه ان يقاتل الطفل هذا الواقع العدواني بعدوانية مثله وبأرهاب مثله.

ولذلك تضيف "الحلو" ان الطفل يلجأ الى العاب "البلي ستيشن" المليئة بهذا العنف لتصريف هذه المشاعر العدوانية والسلبية.

الدكتورة الحلو بينت ان مخاطر عديدة تنجم من مثل هذا السلوك وتؤثر كثيرا على مستقبل شخصية الطفل مستقبلا لانه سينشأ نشأة عدوانية مليئة بالحقد والكراهية على الجميع، لانه يشعر ان كل ما يحيط به هو عدو له.

وترى الدكتورة بثينة ان العلاج يبدأ من البيت اولا: فعلى الاسرة ان توضح للطفل ان الحياة مليئة بالخير والفضيلة، وان الاشرار لا بد ان يندحروا في نهاية الامر لان الخلود للخير وليس للشر.. ويجب ان تخلو جميع هذه الافلام من اعمال العنف والقتل ولم تستثنِ الدكتورة بثينة مسؤولية الدولة ووسائل الاعلام وغيرها. فالطفل يميل الى الالعاب وعقله في نمو مستمر استنادا الى آراء الكثير من علماء النفس وهو يتعلم من اللعبة اكثر مما يتعلمه من نصيحة او اوامر وغيرها.

انتهى المشهد

قرص ليزري -وطني جدا- اسمه معركة المطار، يظهر في احد مشاهده العلم العراقي، ووسط القذائف والقنابل والرصاص كان يرفرف ببطء.

اطفال العراق، اطفال العراق حصرا.. في قاعات البلي ستيشن يحث احدهم الاخر قائلا: اضرب العلم: اضربه.. وفي لحظة تتوجه قذيفة بأمر احد الاطفال العراقيين فيـــسـ...ـقـ..ـط العلم العراقي ويصرخ الاطفال العراقيون هـــيه سقط العلم العراقي (!) هيه. انتهى المشهد.

الرأي الثالث..

المنطقة الغربية والانتخابات

صافي الياسري

هل تتحول نتائج الانتخابات في المنطقة الغربية دون استمرار العنف المسلح؟ هذا السؤال ينفتح على اسئلة عديدة اخرى، في مقدمتها السؤال الذي يطرح حول هوية ممارسي العنف المسلح.

فإذا كان جواب هذا السؤال يلقي استمرار العنف على عاتق السكان فان الاجابة مغلوطة والنتيجة سلبية، اما اذا كان الجواب يدور حول الارهابيين. فهو الاخر جواب مغلوط وناقص، وتعليق الكثير من الاغلاط التي ارتكبها الامريكان وبعض القوى الوطنية على شماعة الارهاب.

تجري على ساحة المنطقة الغربية عملية تنظيف تقوم بها القوات متعددة الجنسيات بمشاركة الجيش العراقي، وهي واحدة من خطوتين او حركتين متناقضتين، والخطوة او الحركة الثانية هي مؤتمر المصالحة الوطنية في القاهرة بمبادرة الجامعة العربية، والامران ينعكسان سلبا وايجابا على الوضع في ساحة المنطقة الغربية، فمشاركة قوى العرب السنة في هذا المؤتمر دليل صحة ينعكس ايجابا على عموم الساحة العراقية، لكن المؤشر يبقى ناقصا ما لم نتأكد من ايجابية نتائج هذا المؤتمر، ومدى سعي كل الاطراف المشاركة الى رفع الالغام المزروعة فيها فيها وطمر الخنادق وتبادل الثقة والتعاون.

اما تنفيذ مداهمات (القبضة الحديدية) و(الستار الفولاذي) في المنطقة الغربية، فقد انعكس سلبا على الوضع في هذه المنطقة اولا وعلى عموم المناطق العربية السنية، وكم كان بودي الا استخدام هذا المصطلح الذي شاع حتى صار امرا واقعا علينا الا نخجل من الاعتراف به لنتمكن من التعامل معه، وقد رأت قوى العرب السنة في هذه المداهمات خطوة ستنعكس سلبا على مبادرة الجامعة العربية، وانها نوع من الضغط على العرب السنة لتقديم تنازلات اكبر، سواء على الساحة السياسية داخل العراق، او في مؤتمر المصالحة الوطنية في القاهرة، وعلى هذا فان الوضع ما زال غائما برغم ان قوى عرب السنة قد وافقت على المشاركة في الانتخابات التشريعية القادمة لتشكيل الجمعية الوطنية، كما وافقت على المشاركة في مؤتمر المصالحة، لكن الامر كما قلنا مرهون بالنتائج، واذا كنا قد كسبنا القوى السياسية هناك الى جانب العملية السياسية داخل العراق، فاننا نكون قد حيدنا قوى مؤثرة ستلعب دورها الفاعل في وضع العراق على طريق السلام ونبذ العنف الذي يمكن القول ان اسخن مناطقه هي المنطقة الغربية، لكن ذلك ليس كافيا، فما زالت هناك قوى اخرى لم نعترف بوجودها بعد، ولم نتعامل معها بطريقة صحيحة، وليس الارهاب منها، فهذه هي الجهة التي تتطلب الاجتثاث، ذلك اننا مبدئيا نرفض التعامل مع اية جهة ظلعت في جريمة قتل عراقي واحد، هناك ضباط ومراتب الجيش العراقي المنحل، من الواجب دراسة اوضاعهم والتعامل معها بما يؤمن لهم عراقيتهم واحترامهم واحترام وطنيتهم، وهناك قوى الامن الداخلي والاجهزة الامنية الاخرى غير الظالعة في جرائم النظام المباد، وكل هؤلاء تعج بهم المنطقة الغربية، ولم يجدوا مصلحة لهم، لا في اعادة بناء العراق واعماره، ولا في الانتخابات، وهم يحتمون بعشائرهم لكنهم ليسوا بعيدين عن معارضة مسلحة يمكن التعامل معها لان انتماءها الى اجهزة حكومية تم حلها لا يعني فقدانها وطنيتها كما ان توفير بيئة ملائمة لنشر السلام ونبذ ثقافة العنف لا يعني تنازلا، بل كسبا حقيقيا لعموم المجتمع العراقي، ولا يمكن ان نعاقب احدا على جريمة لم يرتكبها، فقد اجبر النظام المباد اكثر من نصف العراقيين على الانتماء الى صفوف الحزب الحاكم ترغيبا وترهيبا وقسرا، وبما انه كان يعد المنطقة الغربية، واحدة من المناطق المحسومة الولاء لحكمه، فانه اعتمد بشدة على جذب شباب هذه المنطقة الى اجهزته المختلفة عسكريا وامنيا.

وموافقة قوى هذه المنطقة على المشاركة في الانتخابات موافقة على اقتسام المسؤولية الادبية والقانونية على مناهضته العنف مما سيضعها في مواجهة الارهاب، وتجفيف منابعه، ويفرد للقوى الاخرى محاورا متفهما قادرا على الاخذ والعطاء معها، واستيعاب اوضاعها والاستجابة لتحياتها.

وعلى هذا يمكن القول ان فرصة التعامل مع عموم قوى المنطقة الغربية عبر الحوار السلمي واحترام الاخر ممكنة ولا سيما بعد قبولها المشاركة في الانتخابات التشريعية.